

شواهد وأطوار من تاريخ اللغة التركية بتونس*

Türk dili'nin Tunus'taki tarihi : örnekler ve evreler

Histoire de la langue turque en Tunisie : attestations et évolution

The History of Turkish Language in Tunisia

محمد الفاضل البشرأوي**

Doç. Dr. Mohamed-Fadhel BECHRAOUI

ÖZET

Bu çalışmada Türk dilinin Tunus'taki tarihi dört ana bölüme ayrılmıştır : Arapça konuşan yerli bir çoğunluk ve Türkçe konuşan bir azınlığın Tunus'ta birlikte yaşaması ; Bundan böyle Tunus'taki ikidilliliğin çekirdeğini temsil eden ve Türk babalar ve Tunus'lu annelerden olma kuloğlu adıyla anılan bir topluluğun 17. yüzyıl dönümünde ortaya çıkması ; Kuloğlu'ların bir yüzyıl sonra iktidara gelmeleri ve daha önce İstanbul'dan gelen Türkler tarafından yürütülen bazı yargı görevlerinin araplaştırılması konusundaki çabaları ; Tunus'un 1574'te fethinden beri yüzyıllardır süregelen bir geleneğe rağmen, 19. yüzyıl başlarında Ahmet Bey'in İmparatorlukla arapça yazışmak konusundaki kararı ; Ayrıca bu çalışmada çok çeşitli alanlara ve farklı dönemlere ait dilsel örnek incelemeleri ve çevirileri de bulunmaktadır, bunlar : şiirler, endülüs kökenli müzikler (*mālūf*), Hanefi camilerinde ibadet'in yeniden düzenlenmesi, düzenli ordunun Bardo okulun'da eğitimi, ve kitabeler. Bu kitabeler arap harfleriyle yazılmıştır ve gerçek arapçadan ancak çok dikkatli ve iyi yetişmiş bir okuyucu tarafından ayırdedilebilirler. Sonuç olarak, Türkler, arapça'ya zarar verecek biçimde dillerini zorla kabul ettirmeye çalışmamışlardır. Yerli halkla karşılıklı ilişkileri daha çok onları araplaştırmıştır. Aynı biçimde, ülkeyi İspanyol kuşatmasından korudukları gibi, o'nun, Osmanlı Hilâfeti tarafından asla tartışma konusu yapılmamış arap kimliğini korumasına izin vermişlerdir.

Anahtar kelimeler

Türk dili'nin tarihi, Tunus, Osmanlı İmparatorluğu, Dillerin ilişkisi .

RÉSUMÉ

Ce travail comprend une répartition de l'histoire de la langue turque en quatre moments cruciaux : la cohabitation, au sein de la société tunisienne, d'une communauté turcophone, minoritaire, avec une communauté autochtone majoritaire et à dominante arabophone ; l'apparition au tournant du XVIIe siècle des Kouloughlis nés de pères turcs et de mères tunisiennes et censés représenter désormais le noyau du bilinguisme

*أتوجه بالشكر للسادة سهيل صابان وعلاء الدين قره جه واوجال اوغوز ونبيل قريسة والبشير بن عيسى لما أفادوا به من آراء ومعارف جليلة تتعلق بمسائل من هذا البحث.

**أستاذ مساعد بالمعهد العالي للغات بتونس، قسم الفرنسية؛ جامعة 7 نوفمبر بقرطاج. Tunus Dilleri Yüksek Enstitüsü, Fransızca Bölümü ; Kartaj Üniversitesi

arabo-turc en Tunisie ; l'accession, un siècle plus tard, de ces Kouloughlis au pouvoir et leurs efforts dans l'arabisation de certaines fonctions judiciaires jadis occupées par des turcs venant d'Istanbul ; la décision de Ahmed Bey au début du XIXe de correspondre avec la Porte Sublime en arabe au lieu du turc, contrairement à une tradition séculaire qui remonte à la conquête du pays en 1574. On y trouve aussi, étudiées et traduites, des attestations linguistiques provenant de différentes époques et relevant de domaines très variés : la poésie, le chant classique (*mālūf*), l'organisation du rite dans les mosquées hanéfites, l'entraînement de l'armée régulière à l'école du Bardo et les inscriptions qui, écrites en caractères arabes, ne peuvent être distinguées des inscriptions arabes proprement dites que par un lecteur instruit et très attentif. La conclusion est que les Turcs n'ont pas cherché à imposer leur langue aux dépens de l'arabe. Au contact des autochtones, ils se sont plutôt arabisés. Et, de la même façon qu'ils ont défendu le pays contre l'invasion espagnole, il lui ont permis de consacrer son identité arabe, jamais remise en question sous le Califat ottoman.

Mots-clés

Histoire de la langue turque, Tunisie, Empire Ottoman, Contact des langues.

1. مقدمة

هذا البحث ينظر في تاريخ استعمالات اللغة التركية بالبلاد التونسية اعتمادا على آثار مكتوبة انقرض أصحابها والأسباب التي أنشأتها، وبقيت هي مسطورة على الورق أو الحجر شاهدة عليهم وعلى تلك الأسباب. إن الآثار المكتوبة هي التي حفظت لنا شيئا من هذه الاستعمالات عبر التاريخ، وما لم يُكتب ضاع في حينه واندثر. ومن الآثار المكتوبة أيضا ما تلاشى بلا رجعة ومنها ما ضاع ولم يندثر، مفقودا إلى حين العثور عليه من جديد. وهذه الشواهد وإن ظهرت في محيط عربي فإنها لم تنقطع من حيث النوع عن كونها كلاما تركيا وذلك على عكس الألفاظ الدخيلة في العربية التونسية التي انفصلت واستقلت نهائيا عن أصولها في اللغة التركية. واستعمالها في الأولى غير استعمالها في الثانية. والدخيل المنقرض قد يشتهر مع هذه الاستعمالات في كونه عاد منحصر في ما تبقى من شواهد المكتوبة، غير أن هذه السمة عارضة لكليهما وليس بها يتحدد النوع فيما يتعلق بالاستعمال. واعتمدنا في دراسة ما جمعناه من الشواهد التركية معايير لسانية تاريخية كأن يُنظر إليها من زاوية وظيفتها التواصلية أو الشعاعية ومن زاوية علاقتها بالأحداث والأغراض الأخرى التي ساعدت على ظهورها. ولم نلتزم هنا بخط البحث الفيلولوجي أي باعتبار أن النصوص القديمة شاهدة على اللغة ذاتها قبل أن تكون شاهدة على الوظيفة التواصلية

ذلك إلى عامل أساسي هو ارتباط الشرعية السياسية بالدين واللغة في بلد كل سكانه من المسلمين وحيث العربية هي اللغة السائدة علاوة على كونها لغة القرآن الذي يدين به الجميع أتراكا وعربا على حد سواء. فالشرعية السياسية في مثل هذا البلد تقتضي من السلطة أن تكون مسلمة أولا ومعربة ولو جزئيا ثانيا. والاتجاه نحو المزيد من الشرعية كان يقاس بالمزيد في تعرب السلطة. وذلك ما حدث مع قيام الدولة الحسينية في بداية القرن الثامن عشر.

ولقد دأب العديد من الباحثين العرب لضبط العلاقة بين اللغات في الفضاء الإسلامي على حشر اللغة التركية ضمن ما اتفقوا على تسميته باللغات الإسلامية مع العربية والفارسية وغيرهما. والحقيقة أن هذا المصطلح ليس بمصطلح لساني، لكون هذه اللغات لا تدخل بالضرورة ضمن عائلة (علاقة نسب) أو صنف لغوي (علاقة شبه) جامع، كما أنه ليس بمصطلح ديني، لانفراد العربية بفضلها على سائر اللغات في علاقتها بالتنزيل (لا بأفراد القبائل العربية). بل هو مصطلح سياسي تاريخي يُذكر بالدور الذي قام به من بعد العرب الفرس والأتراك وغيرهم في تثبيت الإسلام بين الأمم وتمكين

وغيرها من الوظائف التي ارتبطت بها في حال الاستعمال، ذلك لأننا لم ننظر باطراد في الخصائص اللغوية لهذه النصوص التي اتسمت كلها بما عُرفت به اللغة العثمانية عموما أي المزج في الألفاظ بالدرجة الأولى والتراكيب بالدرجة الدنيا بين لغات ثلاث وهي التركية والفارسية والعربية على نحو الترتيب. وقبل الخوض في كل هذا نظرنا في التطورات التي طرأت على وضع اللغة التركية بتونس من الفتح (1574/981م)

إلى عهد المشير أحمد باي الأول (حكم 1253-1271هـ/1837-1855م) وقدمناها في شكل أطوار تنتزل فيها الشواهد التي بين أيدينا، إذ لا تاريخ بدون أطوار ولا هي تاريخية الدراسة التي لا تسعى إلى ضبطها. وما دون ذلك فهو تاريخي يقوم على ضبط التواريخ وحسب.

ومجمل سياسة الأتراك اللغوية في تونس، وهي على وجه العموم سياسة الدولة العثمانية في البلاد العربية، أنهم لم يحاولوا تغيير التركيبة اللغوية للبلاد بنشر لغتهم أو فرضها على حساب العربية بل كانوا في تعاملهم وتعايشهم مع الأهالي العرب (والمعربين) أكثر عرضة للتعريب مما كان هؤلاء عرضة للتتريك (أو التوركة) ويعود

دولته بين العجم. والعلاقة بالدين إن هي
 حاصله هنا ولا بدّ فإنها غير مباشرة لأنّ
 الجامع بين هذه اللغات المختلفة والدين
 الإسلامي إنّما هو السياسة والتاريخ وليس
 الكتاب الذي لم يقترن فيه كلام الله إلا بلسان
 العرب. فبالمعنى الديني الصرف لا يمكن أن
 ينطبق هذا المصطلح إلا على العربية دون
 سواها وفي المفرد دون الجمع. وبالمعنى
 المشار إليه قبلُ فإنّ اللغات الإسلاميّة تشترك
 في كون أصحابها اعتمدوا كتابتها بالحرف
 العربي بعد اعتناقهم الإسلام، حيث أنّهم
 اتخذوا كتابة المصحف مرجعا لكتابة لغتهم
 وإن كانت هذه اللغة غير تلك التي جاء بها
 القرآن الكريم. ويُعدّ ذلك أولّ المظاهر
 الثقافيّة للولاء الديني والسياسي عند هذه
 الشعوب. فالتاريخ، الماضي والحاضر، يبيّن
 لنا أنّ اعتماد هذا النوع أو ذلك من الحروف
 في كتابة اللغة له وظيفة ثقافيّة صارت
 ضروريّة بالإضافة إلى الوظيفة اللغوية
 الأولى المتعلقة برسم الأصوات. وينطبق هذا
 الازدواج الوظيفي على النصوص التي بين
 أيدينا والتي عليها من المآخذ ما على الكتابة
 العثمانيّة عموما من حيث التقصير في ضبط
 الحروف الصائتة (أو الحركات) واعتماد
 الحرف الواحد أحيانا في كتابة أكثر من

صوت في نفس اللغة. وهذا ما حدا بباحثي
 العهد الجمهوري في تركيا إلى إعادة كتابة
 بعضها كتابة صوتيّة بالحرف اللاتيني، سواء
 ذلك المعتمد في كتابة اللغة التركيّة منذ سنة
 1924 (نور : 1942) أو ذلك الذي أعدّ
 خصيصا لهذا الغرض (شكر : 1987
 والجن : 1988) وهو مستوحى من الأوّل.
 فاستعمال الحرف اللاتيني توفرت فيه من
 الدقة في ضبط وتمييز الحروف، الصوائت
 والصوامت، ما لم تتوفر في استعمال الحرف
 العربي عند العثمانيين. ويختلف الوضع عند
 الأويغور في الصين مثلا، وهم بطن من
 بطون الترك، لِمَا تَوَقَّفُوا إليه من نجاح في
 تطويع الحرف العربي، بحيث صاغوا
 الحروف الصوائت والصوامت على نفس
 المنوال وبشكل طريف يضاهي في دقته ذلك
 الذي عليه الحرف اللاتيني. ونحن، فلهذا
 المجال، إن لم نأت بالكتابات الصوتيّة التي
 أعدّها المعاصرون. وكان بالإمكان أيضا
 إحداث كتابة صوتيّة بالحروف العربية
 الأويغوريّة تكون مطابقة في جوهرها (ومنه
 الكتابة من اليمين إلى اليسار)، بلا تنافر ولا
 نشاز، مع الكتابة التي نعتمدها في النص
 الأصلي.

يتقدموا لفديته وظنّوه من الكفار لأنهم لم يكونوا ليفهموا لغته كما كان هو أيضا لا يفهم لغتهم. ولم تتحلّ عقدة هذا الأسير القفجاقى إلا على يد رجل مصري يحسن اللغة التركيّة :

"وفيه [شهر ذي الحجّة من سنة 866 هـ] في يوم الأربعاء ثامن عشرينه ورد إلى مرسى تونس وإلى ميناها اثنان من مراكب الفرنج ومعهم عدّة أسرى للفدى وأفدوا ثمّ اتّفق لي أنّي توجّهت إلى المرسى ونزلت في قارب للتفرّج على ذين المركبين وطلعت إلى الأكبر منها وبيننا أنا أفرّج فيه وإذا بشخص من الأسرى المحضرين تركيّ الجنس من بلاد حاج ترخان من دشت قبجاق التتر لا يعرف شيئا باللغة العربيّة بل بالتركيّة والفرنجيّة لم يبق في المركب غيره من الأسرى فسألته بالتركيّة عن اسمه فأجابني ثمّ قال لي أنا من أسرى المسلمين فقلت له قد أقدى جميع أسرى المسلمين فما بالك فقال كلموني خبر الفدا فلم أعرف بلغة العرب لأترجم عمّا في ضميري فلم يلتفت إليّ أحد وظنّوا أنّي كافر فوعده بأنني أفديه..." (برانشفيك، 1936 : 19).

فاللغة التركية دخلت البلاد التونسية مع فئة الانكشارية، التي تعدّ لوحدتها ما بين

1. وضع اللغة التركية بتونس عبر

التاريخ

إنه بالإمكان تقسيم تاريخ اللغة التركية إلى أربعة أطوار مختلفة، وذلك باعتبار ثلاثة مقاييس أساسية وهي (١) التعايش اللغوي بين الفئات و(٢) الازدواج اللغوي عند الأفراد داخل الفئة الواحدة و(٣) الاستعمال الرسمي في الإدارة والقضاء :

(أ) الطور الأول : كان ظهور اللغة التركية بتونس مع الإنكشارية الذين دخلوها إبان الفتح في عهد السلطان سليم الأول سنة 981هـ/1574م. وهي لم تكن قبل ذلك، أي في العهد الحفصي والذي قبله، لغة مألوفة عند الأهالي. وذلك خلافا للشأن الذي كانت عليه في مصر والشام في عهد المماليك حيث لقيت رواجاً باهراً تشهد له مصنفات النحاة واللغويين، ومنهم أبو حيان الأندلسي (654-745هـ/1256-1344م)، الذين انشغلوا بها نزولاً عند رغبة المتعلمين من العرب. ولعلّ حادثة الأسير التركي الذي التقى به الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل في تونس سنة 1462م تلخص وضع اللغة التركية بها قبل عهد الخلافة العثمانية. فالتونسيون،

الحاضرون آنذاك في مركب الإفرنج، لم

ثلاثة آلاف وأربعة آلاف شخص، وكذلك مع فئات اجتماعية أخرى كالعلماء والتجار والحرفيين الذين كان من الطبيعي أن يفدوا على المقاطعة الجديدة في سياق معاملاتها المتميزة مع مركز الخلافة. وباستثناء بعض الأفراد وقد يكونون من المتعلمين أو من ذوي الأصول العربية المشرقية فإن الفئة التركية ظلت معزولة انعزال الأقلية الأعجمية داخل الأغلبية العربية. ومن البديهي أن تكون ضرورة التواصل مع هذه الأغلبية بلغة تفهمها قد دفعت هؤلاء الأعاجم إلى الإفادة من رصيدهم السابق في اللغة العربية وهو بالدرجة الأولى كل ما توفر لديهم من ألفاظ عربية هي دخيلة في اللغة التركية. وتأتي بالدرجة الثانية ألفاظ تركية (أو غير تركية، فارسية أو افرنجية) تعود التونسيون على فهمها أو حتى استعمالها بحكم التعامل اليومي مع هؤلاء أو مع غيرهم من الأوربيين. وكل هذا الرصيد يعتبر مشتركاً بين الطرفين وهو عمدة التواصل بينهما. وأردأ حالات التواصل أن لا يجد غريب اللغة شيئاً من كل هذا فيضطر لاستعمال لغته الأصلية مراهنًا على نباهة السامع لا غير. وقد تتطور هذه الحال على مستوى الأفراد نحو اكتساب فعلي للغة

الآخر أي إلى درجة من درجات الازدواجية اللغوية.

وما تتميز به هذه الفترة هو التقاء أهل اللسان التركي مع أهل اللسان العربي دون وجود فئة وسطى بينهما تُحسب لذاتها. فالفئة الأولى هي فئة "الأتراك الأعاجم" والثانية هي فئة "أبناء البلاد" وذلك بالتسميات التي كان استعمالها الصغير بن يوسف (ت 1177هـ/1763 أو 1764م) صاحب كتاب المشرع الملكي في بداية العهد الحسيني والتي وافقت بداية القرن الثامن عشر. وللاستشهاد على عربية الأتراك فلن نجد أفضل مما ذكره هذا المؤرخ على لسان هذين التركيين الأعجميين من عسكر حسين باي مستصرخين هلعا من هجمة الوسلاتية (نسبة إلى جبل وسلات) بأمر من علي باشا. وهما الرابع والخامس من بين آخرين كولغلية على الأرجح لأن هذا الباي في تلك الواقعة كان "أكثر عسكره من الكوارغلية وبعض الأعاجم" (المشرع الملكي : 140/1) :

"الأول يركض على رجليه ركض الخيل، ويصرخ : الويل الويل، أهذا نهار أم ليل؟ والثاني المانع¹ ينادي : أين المنع يا أسيادي؟ أين أنا غادي؟ والثالث المانع يصرخ ويصيح : يا إخواني أين نطيح؟

ضمن المرجعية الإسلامية التي قامت عليها الخلافة العثمانية.

وفي ما يتعلق باللغة الأصلية لهؤلاء الأعاجم، فالمسألة تتلخص في أن كل تركي هو أعجمي وأن ليس كل أعجمي تركياً. زد على ذلك أن الأتراك كانوا يسمون أعجمياً من لا ينطق بلسانهم من غير العرب ومن غير المسلمين عموماً. ومن الإنكشارية من كانوا أعاجم دون أن يكونوا أتراكاً. ومثال ذلك من عرفوا عندهم بـ"الأعجمي اوغلان" أي أبناء الأعاجم، وكانوا يعلمونهم التركية مع تعليمهم مبادئ الإسلام. وإذا لم يسعوا إلى "تعريبهم" فذلك من قبيل أن فاقد الشيء لا يعطيه.

وبهذا المعنى يجوز تسمية المماليك وغيرهم من الداخلين في الإسلام على يد الإنكشارية بالأتراك، حتى ولو كانت التركية لغة ثانية عندهم وأنهم كانوا في الأصل يتكلمون لغات أخرى غيرها. ولنا في ذلك شهادة كريستوف ريشه Christophe Richer الرحالة الفرنسي الشاب الذي لاحظ في سنة 1540 أن اللغة الصقلية، أو الإسكلافونية "esclavon" كما يقول، كانت في استانبول "أكثر استعمالاً وأكثر انتشاراً من غيرها... سيما وأنها [كانت] مشتركة بين

والرابع تركي ينفذ روحه ويقول : قاعد أو متكي؟ والخامس تركي ينادي : بابّ وسلّاتي أمان الله أمان، جانم ويا سلطان" (المشروع الملكي : 144/1 والتعميق من عندنا).

ومهما تصرف المؤلف في هذا الكلام ليتهياً للكتابة فإنه نقل لنا الاختلاف الواضح بين كلام التركي الثاني وبين كلام التركي الأول الذي لا يختلف من جهته عن كلام الفارين الآخرين، وهو من صميم العامية التونسية.

فكلام الثاني يفهمه التركي والعربي على حدّ سواء وإن كان ليس بالضرورة ممّا ينطقان به في لغتهما الأصلية. فكل الألفاظ الواردة فيه باستثناء "جانم" يمكن اعتبارها من المشترك بين اللغتين. أمّا الربط بين "جانم" ('روحي' بالتركية) و"يا سلطان" فيبرز بوضوح مدى التهجين في هذا الكلام. وتركيته، وإن كان إنشائياً وليس إخبارياً بالفعل عن الفاعل لتظهر معالمه التصنيفية بكلّ جلاء، فنظنه إلى التركية أقرب منه إلى العربية. وإجمالاً فإن شهادة الصغير بن يوسف تفيد بأن العربية كانت هي المرجع الأساسي في التواصل بين الفئتين. واعتقادنا هو أن هذه المرجعية اللغوية لم تكن خاصة بأيام الدولة الحسينية وإنما حاصلة منذ البداية

"في الجزائر وتونس وسلا وغيرها من مدن القراصنة ببلاد البربر يتكلم الناس في العادة ثلاثة أنواع مختلفة من اللغات : الأولى هي العربية أو الموراسكية، وهي لغة البلاد، والثانية هي التركية ولا تشترك في شيء مع لغة العرب والمُور، والثالثة هي تلك التي يسمونها لغة الفرنجة والتي يستعملها جميعهم ليفهمهم الآخرون. وهي رطانة سهلة وظريفة اجتمع فيها شيء من الفرنسية وشيء من الإيطالية وشيء من الإسبانية"⁴. وفي استعمال كلمة 'رطانة' "baragouin" إشارة إلى أن العرب والأتراك كانوا يستعملون لغة الفرنجة مع الأوربيين من حيث أنها تمثل طريقة ينتهجها المتكلم في التخاطب مع الآخر بلغته هو دون إتقانها والإمام بها ولا سيما إذا كان تعلمها بالمشاهدة وليس في المؤسسة التعليمية عن طريق المصنفات اللغوية (المعاجم) والنحوية (كتب النحو). وهذا هو التعريف الاصطلاحي للكلمة الفرنسية.⁵ وليس ثمة في كلام المؤرخ ما يفيد صراحة بأن الأتراك والعرب كانوا يستعملون لغة الفرنجة للتواصل فيما بينهم. ولكنّ وضعيّة مثل هذه لا يمكن استبعادها إطلاقاً لأن هذه اللغة من أصلها جعلت لتكون لغة مساعدة على قدر الحاجة إليها.

الإنكشارية، ومستعملة بالأساس عند جميع المشتغلين بأمور الحرب"². وهو ما يؤكد كلود دوره Claude Duret في أوائل القرن السابع عشر بقوله إنّ "أكثر الإنكشارية في الباب العالي لا يتكلمون إلا هذه اللغة"³، شاهدا لها بالرواج في وقته أكثر من أي وقت مضى. لكنه يشير في الآن نفسه إلى أنها كانت "بكثير دون المكانة والاعتبار الذين كانت تحظى بهما العربية والتركية والموراسكية" وهو لم يحدد خصائص هذه اللغة الموراسكية "langue moresque"، والشائع أنها لغة الأهالي بإفريقيّة أي العربية العامية المستعملة بتونس والجزائر في ذلك العصر.

أما الصغير بن يوسف فهو يستعمل تارة "تركي عجمي" وتارة "عجمي" فقط ولا ندري ما إذا كانت التسمية الثانية اختصاراً للأولى أو للتمييز بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً.

واللغة التركية في تونس آنذاك كانت تحتل على خريطة التعايش اللغوي موقعا وسطا بين العربية (العامية) ولغة الفرنجة كما يتبين من تقرير المؤرخ بيار دان Pierre Dan في النصف الأول من القرن السابع عشر :

واردة بمعنى العبد لأنّ الانكشارية كانوا يعتبرون أنفسهم عبيد السلطان وخدمه. والقصيدة الأولى التي ترجمناها في الفصل الثاني من هذا البحث تحتوي على ما يؤكد هذا التفسير لفظا ومعنى، وهو قول الناظم في البيت الثالث: "يارار قوللاريوز عثمان اغلينوك"، نحن عبيد بني عثمان الجُسر. ثم إنّ قراءة "قول" بالضمّة المبسوطة الثقيلة kol لا يمكن استبعادها البيّة، لأنّ "قول" بهذا النطق تعني 'فرقة الجيش'، وذلك ينطبق أيضا على الانكشارية.

فالقولغلية لم تكن لهم لغة خاصة بهم يتكلمون بها تختلف عن تلك التي كان يستعملها "أبناء البلاد" أو "العرب"، وإنما كانوا علاوة على معرفتهم الطبيعية بلغة هؤلاء مرشحين ليتكلموا أيضا مع الأتراك بلغتهم الأصلية، أو على الأقل لفهم هذه اللغة عندما ينطق بها أصحابها دون عناء كبير. وبهذا تكون هذه الفئة مركز الازدواج اللغوي العربي التركي دون أن تكون لغتها بالضرورة لغة مختلطة أو هجينة كلغة الفرنجة مثلا. فمُرَدُّوْجُو اللغة في تونس على هذا النحو وخارج الموطن الأصلي للغة التركية قد يكونوا عربا أو أتراكا من المثقفين أو من غيرهم لكنهم لا يدخلون ضمن فئة

(ب) الطور الثاني: وهو قريب من الأول وامتداد له ويتمثل في ظهور القولغلية (أو الكورغلية، وبالمصطلح العامي كوالغلية وكوارغلية وكراغلة) على الساحة الاجتماعية مع بداية الزيجات بين الانكشارية والنساء التونسيات. ويلاحظ المؤرخون أن مثل هذه الزيجات كانت دارجة في أواخر العقد الثامن من القرن السادس عشر، بحيث يمكن التأريخ لظهور الجيل الأول من شباب الكولغلية في المجتمع التونسي مع بداية القرن السابع عشر. وكولغلي (أو كلوغلي)، مفرد كولغلية، لفظة تركية "قول اغلي، kuloğlu" مركبة من "قول" 'العبد أو الأمة' ومن "اغلي" 'ابن، ابنه، ابنها'. وقد ذهب البعض إلى ترجمتها بابن الأمة. لكن هذه الترجمة تفترض إما كون النساء اللاتي تزوجهنّ الانكشارية في تونس (وفي الجزائر أيضا) إماء حقيقة أو أنّ هؤلاء العسكر أطلقوها على أبنائهم احتقارا للوالدات التونسيات. وهذا يصعب القبول به لعدة أسباب أولها أنّ بنات العائلات التونسية لم يكنّ في وضع العبودية لا بالنسبة إلى أولياء أمورهنّ ولا بالنسبة إلى أزواجهنّ الأعاجم. وثانيها أنّ المولود عند الأتراك والعرب على حدّ سواء كان ولا يزال يُنسب إلى أبيه وليس إلى أمّه. والنسبة إلى الأب

قبل أن يكونوا ربّما تعلّموا لسان الأتراك أو حتى شيئا منه.

(ج) الطور الثالث : وصول الكولغلية إلى سدّة الحكم مع حسين بن علي تركي مؤسس الدولة الحسينيّة (ح 1117-1153هـ/ 1705-1740م)، وتعريب الوظائف القضائية التي كانت بيد الأتراك. فهو الذي جعل خطة قاضي العسكر تُسند للعلماء من أبناء الترك المُتزايدين بالبلاد وفي عائلات تُعربت بالكامل مثل تلك التي ينتمي إليها هو نفسه.

ومن بعده اعترض علي باشا الأول (ح 1148-1169هـ/ 1735-1756م) على ما جرت عليه العادة منذ الفتح في تعيين قاضي الحضرة الحنفي من قبّل الباب العالي ومن بين الأتراك المقيمين في استانبول - باستثناء تعيين الشيخ محمد قاره خوجة المشهور ببرناز (ت 1084هـ/ 1673م) الذي تزايد بتونس لأحد رجال الفتح العثماني - إذ أقنع السلطة هناك بأن مثل هذا التعيين لا بدّ أن يرجع إليه بالنظر قبل غيره متعللا أساسا بعدم قدرة القاضي التركي على التخاطب والتفاهم مع الأغليّة من أبناء البلاد لأنهم عرب ولا يحسنون التركيّة. وكان له ما أراد في سنة 1157هـ/ 1744م عندما عين أول قاض حنفي باختياره وهو الشيخ أحمد

اجتماعية محددة المعالم كما هو الحال بالنسبة إلى فئة الكولغلية. وبعبارة أوضح فإن لغة هؤلاء لم تكن مثال اللغة الهجينة بل هم كانوا من ذوي اللغتين أساسا، وعلى خلاف بقية المزدوجين فلا العربيّة ولا التركية كانت غريبة عنهم، فهذه لغة آبائهم وتلك لغة أمهاتهم. وظهور الكولغلية يبرز مدى انصهار الأتراك في البيئة التونسية وقد يبدو متناقضا مع وضع الكولغلية أنفسهم داخل الوجود حيث لم تُسند لهم إلا وظائف ثانوية وهم أبناء العسكر. فالتقاليد الانتقائية داخل نظام الإنكشاريّة كانت أقوى من عاطفة الأبوة في انتداب الجنود.

وما يتّسم به الطور الثاني من ناحية أخرى هو انقراض الجيل الأول من الإنكشاريّة الذي قدم مع سنان باشا وارتفاع نسبة الإنكشاريّة ذوي الأصل اللاتيني في الأجيال اللاحقة. وهم صنفان مماليك نشؤوا في الإسلام منذ حداثة سنّهم ومتطوعون هجروا النصرانيّة للإسلام، جاءوا في الغالب من المناطق الساحلية الإيطالية أو الواقعة جنوب فرنسا من جهة بروفونس. وإذا كان الأتراك أنفسهم قد تعلّموا لغة الأهالي فالأرجح أن يكون هؤلاء اللاتين قد تعرّبوا

الطرودي (ابن الخوجة 1986 : 184 - 186).
باللغة العربية، كما قوبل الاعتذار عن
المساهمة الماليّة بكل تفهّم وأريحيّة. والحقيقة

(د) الطور الرابع : قرار أحمد باي
سنة 1838م بالتخلي عن مراسلة الباب
العالي باللغة التركيّة وكانت آخر معاقلها
بإدارة البايليك. وهو قرار خطر لأن به
نعيّها، وهو أيضا جريء ولكن ليس بكلّ
الأبعاد لأن الانشكارية الذين كان بإمكانهم
الاعتراض عليه أو حتى التصدي له قد هلك
معظمهم وانهارت مؤسستهم منذ عهد حمودة
باشا. فأحمد باي الذي لم يكن من أهل اللغة
التركيّة والذي كان تعلمها "نطقا وشيئا من
الكتابة"، على حدّ تعبير صاحب الإتحاف (4/

11)، لم يبالغ في شيء لما تعلل في مبادرته
هذه "بأنه لا يضع ختمه إلا على ما يفهم
خصائص تركيبه" (المصدر السابق 4/19).
وكان ثابتا على رأيه على الرغم من أن
الموقف آنذاك كان يستدعي مجاملة الباب
العالي الذي أرسل في طلب "مقدار معين من
المال كلّ سنة". والاعتذار عن ذلك كان في
رسالتين مكتوبتين بالعربيّة (30 جوان
1838) الأولى باسم السلطان محمود والثانية
باسم شيخ الإسلام. ولم تصدر من الباب
العالي ولو إشارة بسيطة فيما يتعلق بالمراسلة

ولم يكن البايات الحسينيون قبل أحمد
باي راسخين في اللغة التركية رسوخ أبنائها
الأصليين، فحسّى حمودة باشا (ح 1191-
1229هـ/1777-1814م) الذي اشتهر
باستعمالها في مخاطبة مماليكه فإنه كان
يفعل ذلك "خشية أن ينساها"، وكان "لا يتيح
لهم التكلم بالعربيّة خشية أن تكون ذريعة
للخلطة" (الإتحاف : 20/3). والنقاش
التركيّة التي كان يرفعها على الأبراج
والقلاع والقشل فإثما أمر بها سياسة مع
الانكشاريّة حتى يضمن ولاءهم في مواجهة
انكشاريّة الجزائر وطرابلس. لكنهم انقلبوا
عليه سنة 1811، فكانت انتكاستهم التاريخيّة
التي أفقدت هذا الاهتمام باللغة التركيّة من
لدى صاحب المملكة مبرراته السياسيّة
والعسكريّة. ولم يعمل من تبقى من
الانكشاريّة على إعادة بناء الثقة مع الباي في

الفترات اللاحقة إذ جاءت ثورة 1816 في عهد محمود باي لتكرس هذا الوضع وتقطع الأمل نهائيا في العودة إلى ما كان عليه الحال قبل سنة 1811. والحقيقة أن الطور الرابع يمكن التأريخ له ابتداء من هذه السنة، وإجمالا مع انقضاء عهد حمودة باشا. أما اعتماد اللغة التركيبية في تدريب العسكر النظامي بمدرسة باردو في عهد أحمد باي فهو يدخل في نطاق العلاقة الاستراتيجية الثابتة التي كانت تربط الباي وجيشه بالجيش العثماني الجديد (الفقرة الخامسة).

2. الشعر التركي التونسي

لقد كان لأولئك الانكشاريّة الذين استقروا بالبلاد التونسية إبان الفتح العثماني شعرهم الخاص بهم وهو من النوع الشعبي (أو اليكتاشي) الذي يقوم في شكله على الرباعيّات والوزن المقطعي (هجا وزني)، ويقترن إنشاده بالعزف على آلة السّاز ومن ذلك تسمية أصحابه بـ"ساز شاعرلري" أي "شعراء الرّباب". فمثل هذا الشعر لم يكن معروفا عند الأهالي التونسيين قبل مجيء الأتراك ولم يتأثروا به من بعد. وتحتفظ دار الكتب الوطنيّة بباريس بأربع قصائد من هذا النوع⁶ وهي الوحيدة التي وصلتنا إلى اليوم وكان قد نشرها لأول مرة رضا نور تحت

عنوان "بعض قصائد لشعراء أترك من تونس" في العدد الأوّل من مجلة تورك بيليك ره ووسى التي أصدرها سنة 1931، وأعاد نشرها منقولة إلى الحرف اللاتيني مع التعليق على اثنتين منها سنة 1942 في أعداد متفرقة من مجلة تكري طاغ درگي سي، وأعاد نشرها ثالثة شكري الجن سنة 1988 معتمدا نظاما مخالفا في نقلها إلى الحرف اللاتيني ومستدركا بعض الأخطاء على النص الأصلي، وذلك ضمن ديوان خاص بالشعر الشعبي التركي في البحر الأبيض والجزائر.

فمن حيث الشكل تتكوّن هذه الأشعار التي هي على وجه التحديد من صنف الـ"قوشمه"⁷ من رباعيّات (مقاطع رباعيّة الأبيات) ينقسم البيت الواحد فيها إلى عدد معيّن من المقاطع الهجائيّة يكون ثابتا في القصيدة من أولها إلى آخرها (الوزن المقطعي). والغالب أن يتكوّن البيت من أحد عشر أو من ثمان مقاطع هجائيّة. والغالب أيضا أن يظهر اسم الناظم، وهو عادة ما يكون اسما مستعارا، في بداية البيت الأوّل من آخر رباعيّة، ويسمّى هذا الاسم بالتركيّة "تپشرمه".

(سردينيا)، و"جينوزون اللرين" (بلاد البندقية، حرفيًا : بلاد البنادقة). كما وردت تسميات جغرافية مطلقة نحو "مغرب اوى" (بلاد المغرب) والمقصود بها الولايات الثلاث طرابلس وتونس والجزائر، و"فرنك اللرين" (بلاد الفرنجة، بلاد الكفر) والمقصود بها جميع المناطق التي تسيطر عليها الدول المسيحية في المتوسط.

وتتميز لغة هذه القصائد من الناحية الصوتية، على ما ذهب إليه رضا نور (1942c : 9)، بقلب التشيم [ج] دجيما [ج] ويعزو هذه الظاهرة إلى تأثير البيئة اللغوية العربية في هؤلاء الشعراء.

والقصائد تأتي بها مترجمة إلى العربية بعد النص الأصلي كما استنسخه نور سنة 1931، ما عدا اسم الشاعر في القصيدة الأولى، وقد صححه الجن (1988 : 9) بمراجعة المخطوط في باريس (درويش بدلا من صدويش).

القصيدة الأولى : قوشمه من أحد عشر مقطع هجائي. نظمها درويش، وهو حسب الجن (1988 : 262) من شعراء القرن السادس عشر ، لكن إذا كان يوسف المذكور في البيت الأخير هو يوسف داي فيفترض أن

أما من حيث المضمون فكل هذه القصائد تناولت أحداثا حقيقية تتعلق بالحرب والقرصنة في البحر المتوسط وذكرت فيها أسماء بارزة لبعض الفاتحين والغزاة أمثال سليمان القانوني (ح 926-974هـ/1520-1566م) ودرغوث باشا (1485-1565م) كما ورد ذكر يوسف في القصيدة الأولى وهو مشترك ليوسف داي رابع دايات تونس (ح 1019-1047هـ/1610-1637م) ويوسف ريس ذو الأصل الانجليزي وكلاهما شارك في حرب القرصنة البحرية التي حلت محلّ المواجهة المباشرة بين الدولة العثمانية والدولة الإسبانية في البحر الأبيض المتوسط والتي كانت تستمد جذوتها من سقوط غرناطة واستمرار نكبة الموريسكيين الذين وفدوا بالآلاف في عهد يوسف داي وسلفه عثمان. وتونس ورد ذكرها بالاسم في مطلع القصيدتين الأولىين، كما ورد ذكر جربة في القصيدة الثالثة، أما بقية المدن والبلدان المتوسطية الأخرى المذكورة في جملتها فهي "طرابولوس" (طرابلس الغرب)، و"مالته" (مالطة)، ومصر، و"اقولون" (جزيرة، حسب رضا نور)، و"چچلبيه" (صقلية)، و"انابولو" (نابلي)، و"عروما" (روما)، و"سردني"

إِنَّ الدُّنْبَ الْجَائِعَ لَا يَتَعَبُ مِنْ تَرْقُبِ الْفَرِيَسَةِ
وَالدَّمَاءِ السَّائِلَةِ مِنْ سِيُوفِنَا لَا تَنْوَقُفُ
وَفِي الْحَرْبِ الْكَتْفُ بِالْكَتْفِ لَا تَفْتَرِقُ
نَقْفُ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ وَنَرْدُ عَلَيْهِ
يَقُولُ دَرُوشِ قَدْ حَانَ فَصْلُ الرَّبِيعِ
سَعَادَةُ الْبُلْبُلِ مِنْ حُسْنِ حَظِّ الْوَرْدِ
لَيْسَ لِيْلَادِنَا مَثِيلٌ سِوَى تَخْتِ مِصْرَ
إِنَّهُمْ يَقُولُونَ وَجِيهَنَا اسْمُهُ يُوسُفُ «

القصيدة الثانية : هي كذلك قوشمه مز
أحد عشر مقطع هجائي، وليس فيها ذكر
لاسم الشاعر.

« مغربدن تونسدن خبر صورنلر
جنك ايله در كجه كوندوز ايشموز
قلجندن هر بر ينوك قان ده مار
بهادرلر يارانموز اشوموز

[كذا].....

شكاريمز اصلان كبي كوزلروز
خصمي ميز بولونجه قووار ايزلروز
نه يره آقين ايلسك ياقوب ييقاروز
بيلديري مدر توفنكمز طاشمز «

يكون درويش قد عاش إلى عهد هذا الداوي
في بداية القرن السابع عشر :
« آج اصلانلرييز تونس شهرينك
بهارده جقاروز شكار قصدينه
بارر (يا رار) قوللاريز عثمان اغلينيوك
دوشماننه دوشمان دوستوس (دوستز) دوستته
[كذا].....

شكارون كوزلين آج قورت يورولمز
سيفموزدن آقن قانلر دورلمز
جنك يوزنده كديفندن (كتفندن؟) ايرلمز
قرشو دورر جواب وارر خصمنه

درويش ايدر اول ياز بهار وقتيدر
بلبلك شن اولدغي كولوك بختدر
شهريمزون مثلى مصر تاختيدر
يوسف درلر اولومزون اسمنه «

الترجمة :

« نحنُ الأُسْدُ الحَيَاغُ لِمَدِينَةِ ثُوْنِسْ
نَحْرُجُ قِصْدِ الصَّيْدِ فِي الرَّبِيعِ
نَحْنُ عَيْبُ بَنِي عُمَانَ الْجُسْرِ
أَعْدَاءُ لِأَعْدَائِهِمْ نَحْنُ، أَصْدِقَاءُ لِأَصْدِقَائِهِمْ

الترجمة :
 « أَيُّهَا السَّائِلُونَ عَنِ الْأَخْبَارِ مِنَ الْمَغْرِبِ
 وَمِنْ تُونِسِ
 شُعَلْنَا الشَّاعِلُ هُوَ الْحَرْبُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 يَنْقَاطِرُ الدَّمَ مِنْ سَيْفٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 الْبَوَاسِلُ أَصْدِقَاؤُنَا وَرُقَفَاؤُنَا
 نَتَرَقَّبُ صَيِّدَنَا مِثْلَ الْأَسُودِ
 نُطَارِدُ حَصْمَنَا فِي الطَّرِيقِ⁸ وَتُلَاحِظُهُ
 نَهْدِمُ كُلَّ مَكَانٍ نَنْقُضُ عَلَيْهِ وَتَحْرُقُ
 كَالْبَرْقِ هِيَ بِنَادِيْنَا وَحِجَارَتُنَا »
 نجه ايدلوم امر حق قوك
 ايركج بردر يولوم دمشق
 كل سون قللاريمون خصى
 كى سون صياح ادسون ياسى
 جربه ايله طرابولوسى
 ويران اولدى شاريم دمشق
 مولام صله يه غوربته
 دوشوردى بزي فورفته
 مالمته ايله اقولونده
 ايره مدي الوم دمشق

القصيدة الثالثة : قوشمه من ثمان مقاطع
 هجائية تروي مقتل درغووث باشا (والأصل
 طورغود) في مالطة والهزيمة التي تكبدها
 الأسطول العثماني هناك. وكان ذلك قبل فتح
 تونس بثمان سنوات وفي عهد سليمان
 القانوني المذكور في البيت قبل الأخير. أما
 الناظم واسمه اوغوز علي، كما جاء في
 البيت الأول من الرباعية الأخيرة، فقد عاش
 في القرن السادس عشر، لمقتل درغووث في
 سنة 1565م، وليس في القرن الخامس عشر
 كما أورد الچن (1988 : 262).

الترجمة :
 « يُنَادِي طُورُغُودُ بَاشَا أَيُّهَا الْبَايَاتِ
 تَرَشِينْدِي أُولُومِ دِمَشْ »
 « طورغود باشا ايدر بكلم
 ترشيندي اولوم دمشق »

القصيدة الرابعة : قوشمة من أحد عشر
مقطع هجائي ولم يُذكر فيها اسم الشاعر
أيضا.

« يوروجو فورسه كميلر ايله
انديك سيران اددك فرنك اللرين
ظاهر باطن كرجك غازيلر ايله
درديك عرومانوك قونچه كوللرين

بر زمانده آق دكيزدن يورودوك
دونماز پشا پشى كميدن وربرديق
يلكن كورك اددك كيجه يورودوك
صباح سجديك سردني ينوم طاغلرين

بزده يله يله اج قورده دوندوك
غازيلره خير صنيلر صندوق
اون بر پاره كمي جكدير انديك
يغمالديق جينويوزون اللرين »

الترجمة :

« سيرنا بسفن الجدافين الأسارى
وتزلنا بلاد القرنجة وجبناها
مع الغزاة الحقيقيين ظاهرين وباطنين
وقطفنا براعم من ورود روما

كنا نسير في البحر الأبيض زما

فيقول لقد جاءت ساعة الموت
ماذا تفعل فهذا قدر الإله
ويقول طريقي واحد عاجلا أم آجلا

فليات الخواص من عبيدنا
ويلبسوا الأسود ويعملوا الحداد
يقول أصبحت مدينتي خرابا
جربة وطرابلس

وجهننا مولاي لبلاد العربية
فقد قضى فيما بيننا بالفرقة
إنه يقول في مألظة وأقولون
لا يصلنا الموت

قطع طريق البحر الأبيض
وقد خربت بلاد المغرب
هناك صقلية وتابلي
يقول لتباك منذ اليوم

يئس أو غوز علي بشكل مستمر
والعالم في الحداد يئكي
خان سليمان ينادي أياها البايات
يقول إننا انهزمتنا في المعركة »

المُغَنُّون من التُّرك بآلات طربهم، ويجلسون أمامه، ويغنون برطانة التُّرك برُهة، توددا للجند، وبعدهم يدخل المغنون بالعربية بآلات الموسيقى برهة من الزمن أيضا، والشُّمُوغُ تُنَوَّرُ، ودُخان الطَّيِّب يُعَطَّر الأُرْجَاء" (الإتحاف : 27/4).

ونحن لم نعثر على وثائق تكشف لنا نوعية هذا الغناء ولا حتى بعض محتوياته. بل وجدنا في الغناء التونسي الأندلسي، المعروف بالمألوف، تضمينات عدة من الكلام التركي لا يفهما التونسيون عادةً (عدا أمان المتداولة في العامية التونسية) وإنما هي عندهم غريبة لفظاً ومُخلَّقة معنىً وليست لهم دراية حتى بكونها من كلام الأتراك. وهي نوعان :

الأول وهو التُّرُتُّمات وتكون خارجة عن النص الشعري للأغنية، تُضاف إليه عندما تكون الجملة الموسيقية أوسع دائرة منه (من الجملة الكلامية). نذكر منها أربعة ألفاظ وهي غير مدونة مع القصائد في كتب المؤلف :

- أفندم : يُقابلها بالعربية 'سَيدي' وتُكتب في العثمانية "افندم" وبالحرف اللاتيني الحديث efendim ، وهي مركبة من الاسم "افندي" 'سيد، السيد' ومن الميم اللاحقة وهي

نضربُ الأعداء من السَّيِّئَةِ ولا نُؤلي الأُدْبَارُ
سِرْنَا بالأشْرَعَةِ وبالمَقَازِفِ لَيْلًا
وفي الصَّبَّاحِ انْتَقَيْنَا جِيَالَ سَرْدِيْنِيَا
وَوَحْنُ أَيْضًا تَحَوَّلْنَا بِسُرْعَةٍ إِلَى ذُنَابِ جَائِعَةٍ
وَتَصَوَّرْنَا أَنْ يَكُونَ الْخَيْرُ مِنْ نَصِيبِ الْغَزَاةِ
فِيأَحْدَى عَشْرَةَ سَقِينَةَ
نَهَبْنَا بِلَادَ الْبِنَادِقَةِ »

3. الغناء باللغة التركية

يذكر ابن أبي الضياف أنه كان بتونس مُغَنُّون وعازفون أتراك وأن الباي قبل سنة 1254/هـ 1838م كان يدعوهم للغناء في قصره في احتفالات ليلة العيد توددا للجند الأتراك، وقد وصف هذا المؤرخ لغتهم بالرطانة أي الكلام الأعجمي ولعل في ذلك إشارة لكونها لم تكن مفهومة من غير الأتراك. وقد تخلّى أحمد باي عن الاحتفال بالعيد على هذا النحو وأبدله بتلاوة القرآن والحديث لأنه كان يرى في اللهو استنقاصا لهيئته أمام رجال دولته :

"وفي السنة 1254 [أي 1838م] أبطل الترتيب المعتاد لملوك الحضرة ليلة العيد، وقد كانوا يحتفلون ببيت الباشا من باردو وتقف الأعيان والمخازنية سباطين، ويدخل

وألفاظ تركيَّة متكاملة في تأدية المعنى. والجمل المركبة على هذا النحو تظلّ غير مفهومة بالكامل لمن ليست له دراية بلسان الأتراك. وهذا لا يدل بالضرورة على ازدواجية لغوية قديمة، تكون عرفتها البلاد التونسية في الماضي، لأنّ المسألة لا تتعلق في النهاية بعملية التخابط التلقائي بين المتكلمين وإثما بمزج لغوي شاعري يقوم على تضمين ألفاظٍ وعباراتٍ مُلغزة في علاقتها بالنص العربي. وهو لا يعدو أن يكون مجرد زخرفة لفظية بكلام ليس بالدخيل في العامية التونسية حتى يفهمه الناس وليس الغرض منه الدلالة على معانٍ تقصُر العربية على أدائها، وإثما إضفاء صيغة تركيَّة ساحرة على الأغنية من شأنها أن تُحدث في ذهن السامع إشاراتٍ إلى أجواء الغناء التركي ومع شيء من الإلغاز بأية حال. وقد يكون بعضُ هذا الكلام التركي لم يُكتَب مع القصيدة الأصلية وإنما ألحق بها فيما بعد وفي فترات مُتفاوتة ليس لنا أن نحددها بالتدقيق ما دُنا نجهل كلَّ شيء عن الشعراء الذين نظّموا أو عدّلوا هذه القصائد، حتّى أسماءهم. ولعل بعضهم كان من أهل الأدب والموسيقى عارفا باللغتين العربية والتركيَّة، وإن كانت هذه المعرفة في الحقيقة ليست ضروريَّة

علامة الإضافة إلى نفس المتكلم (في المفرد). وكلمة "أفندي" من اليونانية *εφέντης* و *αύθέντης* انتقلت إلى التركيَّة ومنها إلى العديد من اللهجات العربية المشرقيَّة ولغات البلقان. وهي غير متداولة في اللهجات التونسية وإن كانت في القديم لقبا سُمِّيَ به قاضي العسكر في تونس.⁹

- آمان (بالهمزة والميم المفخمتين):

"آمان، aman" وهي مستعملة كذلك في العامية التونسية وفي المشرق العربي وتكون للاستعطاف والتوسل. وأصلها "آمان" العربية.

- بَيْرَمَ : "بيرم، bayram" ، اسم

العيد بالتركيَّة، وهو غير مستعمل في العامية التونسية وإثما هو لقب (اسم علم) لبعض العائلات التونسية المنحدرة من أصل تركي.

- جَانِمُ : "جانم، canım" ، ويقابلها

بالعربية 'رُوحِي' وهي مركبة من اسم الروح "جان، can" ومن الميم اللاحقة التي للإضافة إلى نفس المتكلم. و"جان" فارسية بنفس المعنى.

والثاني يكون جزءًا من النص

الشعري ذاته بحيث يجتمع في الجملة الكلامية (أو اللغوية) الواحدة ألفاظ عربية

لتضمين مثل هذه الاستعارة المحدودة التي لا

تخص إلا عددا قليلا من الأبيات ولا تشمل أكثر من كلمتين تركيبيتين في أقصى الحالات.

ومن ذلك في مقام الحسين :

قلت يا صاحب مراسي

جُدْ ووَاصِلْ، قال عَنِّي

سويلك سُندي

سويلك سُندي : "söylen şindi"

[سُوَيْلُنْ شَيْدِي] ويقال الآن "şimdi" [شيمْدِي]،

لفظ تركي يقابله بالعربية 'لِتَتَحَدَّثَ الْآنَ،

تَحَدَّثَ الْآنَ'. ونفهم من السياق أن هذا الكلام

للحبيبية وهي تركية كما جاء في مطلع

القصيد :

ظبي تركي قد سباني

منه بالأحظ قد رماني

ومثله :

شريف المعاني رشقني وجفاني

بهجران رحل عني أي قوز

أي قوز : تركي "ey kız" ومعناه 'أيتها

البننت'، ويقابله في العامية التونسية 'يا بِنْيَّة'.

ومثله :

غمازك يجرحني خبي خنجرك

عزّتلو سلطانم حافظ ينصرك

عزّتلو سلطانم : تركي "izzetli sultanım"

ومعناه 'ذو العزّة سلطاني'.

ومثله :

يا كحيل الطرف يا باهي الجمال

يا رشارمه إلى كم ذا الزعامه

ياراشارمه : تركي "yaraşar mı" ومعناه

'هل يليق؟'. وفي رواية أخرى 'يَا رَشَا

رَامَا إلى كمُ ذي الزَعَامَة' والمعنى لا يستقيم

لا بالعربية ولا بالتركية.

ولعل أصحاب المألوف التونسي هنا

أرادوا محاكاة بعض الموشحات المشرقية

القديمة التي ورد فيها مثل هذا التضمين

والتي صارت تُعْنَى في كافة البلاد العربية

كهذا الموشح الذي يغنى إلى اليوم في تونس

وهو في مقام الراسن وإيقاع يورك سماعي :

ظبي من الترك له قيودنا مُسَلِّمَة

كلمته فقال لي بركة شك سلِّمًا

غمزته بناظري ولم أفُ بكلمة

أجابني حاجبه لكن بنون العظمة

وفرّ مَنِّي نافرا وصار يَرَقِي سَلِّمًا

أخذ عقلي معه لكن ربّه سلِّمًا

فلفظة شك سلِّمًا هي "چوق سويلمه،

"çok söyleme" [شُوكُ سُوَيْلْمَه] التركية

ويقابلها بالعربية 'لا نتكلم بكثرة؛ لا تتحدث

كثيرا' وهي منسجمة تماما مع السياق كما

ترى.

العلماء يلجأ إليها في تدريس الفقه و الحديث للوافدين الأتراك الذين لا يُحَسِنون العربية، كما كان المشرفون على مراسم العبادات في هذه الجوامع وهم "الخوجات" (ج خوجة، hoca 'أستاذ، مدرّس، معلم، إمام، شيخ، حافظ، من الفارسيّة خَوَاجَة 'سيّد، صاحب') يستعملونها في التنبيه للصلاة وما رافقها من دعاء وذكر. وأهمّ من وثّق لهذه المسألة حسين خوجة (ت 1169هـ/1755م) في ذيل بشائر الإيمان ومحمد بن الخوجة (1869-1942م) في كتابه المُسمّى تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد (1358هـ/1939م) وهو كذلك من أصل تركي عريق، جدّه شيخ الإسلام الحنفي محمد بن حميدة بن الخوجة المُتوفّي سنة 1279هـ/1862م.

والأتراك العثمانيون لما دخلوا تونس في عهد السلطان سليم الأوّل واستقرّوا بها كسلطة سياسيّة وعسكريّة أعادوا إليها المذهب الحنفي وذلك بعد انقطاع دام أربعة قرون ظلت السيّادة فيها خالصة للمذهب المالكي الذي أظهره المُعز بن باديس الصنّهاجي (ت 453هـ/1062م) على بقيّة المذاهب حسّماً للخلاف في فترة حكمه في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر

ولا يقتصر المزج اللغوي في المالوف على الأخذ من اللغة التركيّة فحسب، بل من أبياته ما تضمن ألفاظا فارسية أيضا¹⁰ :

يا حبيبي بلسان عربي

ولسان الفرس آيا دستمن

وفي رواية أخرى "أيدُسْتَمَن". ولكن حتى في مثل هذه الحالة فإننا نرجح أن تكون الألفاظ الفارسيّة قد انتقلت إلى المالوف التونسي عن طريق الثقافة العثمانيّة التي كانت في لغتها وأدبها وموسيقاها منفتحة إلى حد كبير على اللغة والأدب والموسيقى الفارسيّة. هذا علاوة على أن "دوست" من الدخيل في التركيّة وهي متداولة في شعر الديوان ("أي دوستم، ey dostum" 'يا حبيبي') وكذلك النداء في التركيّة فإنّه يشبه النداء في الفارسيّة فلا يمكن التفريق بينهما في هذا الاستعمال إلا بالنون الخاصة بضمير المتكلم في الفارسيّة. ومما يؤيد هذه الفرضيّة هو أن نسبة كبيرة من الألفاظ الفارسية الدخيلة في اللهجات العاميّة التونسيّة جاءت عن طريق استعمالها في اللغة التركيّة.

4. اللغة التركيّة في جوامع الحنفيّة

بتونس

ومن استعمالات هذه اللغة ما هو متعلق بجوامع الحنفيّة حيث كان بعض

إلا على ترجمته الواردة في ذيل بشائر الإيمان حيث يقول المؤلف عنه :

"كان فقيها عالما ماهرا في النحو والأصليين والصرف وكان الرئيس في زمانه إماما مبرزا في علم الحديث يقرأ متن البخاري بنفسه على الحاضرين عالما بالقراءات السبع فصيحاً باللسان العربي واللغة التركيبية لفظاً وقراءة [...] وكان يفسر البخاري ويشرح العيني ويعرف كتب العجم ويقرئها وكان تولى الخطابة بجامع يوسف داي ورواية الحديث به وتدریس المدرسة اليوسفيّة" (الذيل : ط1/83-84 والتعميق من عندنا).

ومثله في درس الفقه الحنفي كان الشيخ حمودة بن الخوجة (؟-؟) "يترجم درسه بالتركيبية في آن واحد مع إقرائه بالعربية" (ابن الخوجة، 1985 : 178).

أما فيما يتعلّق بترانيب الصلوات في الجوامع الحنفيّة عموماً فكان الخوجات الموكول إليهم بإرشاد المصلّين وإحياء المناسبات الكبرى، كصلاة الجمعة والتراويح في رمضان والعديد، يعملون حسب قانون مضبوط يتضمّن جملة من العبارات باللسان التركي تُستعمل للتنبيه والإيعاز قبل أو خلال أداء الطقوس. فهذه صلاة الجمعة :

ميلادي. وكان أوّل انتشار المذهب الحنفي قبل تلك الفترة على يد قاضي القيروان (وهو أحد قاضيين مع القاضي المالكي) أسد بن الفرات في القرن الثالث الهجري أي التاسع ميلادي.

ومن هذه الجوامع الحنفيّة التي تأسست في بداية العهد العثماني والتي أشارت المصادر لاستعمال اللغة التركيبية فيها جامع يوسف داي وهو ثالث هذه الجوامع بعد جامع القصبه وجامع القصر بُني خصيصاً لتُقام فيه الشعائر على المذهب النعماني وكان ذلك سنة 1021هـ / 1612م. فالشيخ مصطفى بن عبد الكريم (1106-1128هـ / 1618-

1694م) منذ القرن الثاني عشر للهجرة أي السابع عشر للميلاد كان يلقي الدرس الواحد في الحديث النبوي باللغتين العربية والتركيّة. لقد كان يُقرئ به الجامع الصحيح للإمام البخاري دراية بشرح العيني، ويترجم الدرس باللغة التركيبية لمن لا يحسن العربية من تلامذته" (ابن الخوجة، 1985 : 177).

والمثير للانتباه هنا هو أنّ الشيخ كان قد وُلد بتونس وتوفي بها بيد أنّ المصادر لا تورد ظروف تعلمه اللغة التركيبية ولا تذكر شيئاً عن الأسرة التي كان انحدر منها. ولعلّ محمد بن الخوجة في ما ذكره عنه لم يعتمد

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - سيد
كائنات صلوات صلاة تراويح نيت أي لين
أي إمام عزيزا وبين الركعتين والركعتين
يقول بالتركية 'فخر عالم بشيرا صلوات'
ويكون التنبيه لصلاة الوتر بهذه العبارة
التركية

سيد كائنات¹¹ صلوات صلاة وتر نيت
أي لين إمام عزيزا" (المصدر السابق :
ط1/ 143 والتعميق من عندنا).

فالتنبيه لصلاة التراويح يقابله
بالعربية : 'الصلاة على سيد الكائنات، أدوا
النية لصلاة التراويح، واقتدوا بالإمام أيها
الأعزاء' والعبارة المستعملة بين الركعتين
والركعتين يقابلها : 'الصلاة على البشير فخر
العالم'. ولا يختلف التنبيه لصلاة الوتر على
التنبيه لصلاة التراويح إلا باستبدال كلمة
بأخرى أي التراويح بالوتر : 'الصلاة على
سيد الكائنات، أدوا النية لصلاة الوتر
واقتدوا بالإمام أيها الأعزاء'.

وكذلك ينبّه الباش خوجة لصلاة العيد
بالعبارة التركية التالية : 'أيا عزيزلار بيرم
نماز ايكي ركعات سكيس تكبير نية [كذا] أي
لين أي إمام عزيزا" (المصدر السابق : ط1/
144، ط2/229 والتعميق من عندنا). ويقابله
بالعربية : 'أيها الأعزاء صلاة العيد ركعتان

"يتقدمها تلاوة القرآن من المصاحف
في المحافل بأصوات رخيمة يتلوها الدعاء
للسلطان العثماني مع ذكر اسمه وللباشا أمير
الديار التونسية بدون ذكر اسمه وقبل ابتدائهم
في التلاوة يقرأ الباش خوجة عبارة استهلال
بالغة التركية نصّها : 'حصول مرادات حق
ده أول وآخر صلي صلواتنا صري فاتح أوق
ين لرن آخر عاقبتي خير أولى' ثم يستفتحون
القراءة من المصاحف، وإذا جاءت آية
سجدة، نبّه عليها الباش خوجة باللسان التركي
بقوله 'سجدت آيات قلدي يا حاضر الن
عزيزا...' (ابن الخوجة : ط1/141، ط2/
225 والتعميق من عندنا).

فعبارة الاستهلال يقابلها بالعربية :
'قُلْ حَقٌّ [أي الله] لتحصل على المراد، وصل
على النبي في البدء والتمام، وحسن العاقبة
لمن قرأ سورة الفاتحة'. والتنبيه للسجدة
يقابله : 'جاءت آية السجدة فاستعدّوا أيها
الأعزاء'. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن
كتابة العبارات التركية كما أوردها محمد بن
الخوجة ليست مطابقة لقواعد الإملاء العثماني
المعروف. وهذه صلاة التراويح :

"ينبّه لها الباش خوجة بالعربية،
ويختمها بالتركية، وهو أن يقول سبحان الله،
والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا

بالبلاذ التونسية إبان الفتح العثماني. أما الاستمرار ولو بمقدار يسير في العمل بمثل هذه التراتيب إلى عهد قريب في جامع صاحب الطابع رغم أنه لم يبق أحد من معمره يفهم اللغة التركية فالسبب فيه يرجع على ما يبدو إلى كون الإمامة والخطابة ظلتا في يد أحد المشايخ الحنفية الشيخ علي بن الخوجة من سنة 1911م أي من ثلاثة عشر سنة قبل سقوط الخلافة العثمانية (1924م) إلى سنة 1982م السنة التي توفي فيها رحمه الله.¹³

5. تدريب العسكر النظامي باللغة

التركية (1831)

على غرار الإصلاحات العسكرية التي اتخذتها الدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الثاني بعد القضاء على الانكشارية (1826م) والتمثلة في إنشاء جيش عصري على الطريقة الأوروبية أطلق عليه اسم "عساكر منصوره" محمدية / العساكر المنصورة المحمدية" (1827م) تم في تونس تحويل وجق الإنكشارية إلى عسكر نظامي يعمل على الطريقة الأوروبية هو أيضا. وكان ذلك سنة 1831م على يد حسين باي (ح 1239-1251هـ/1824-1835م)¹⁴ الذي

وثمان تكبيرات، أدوا النية، واقتدوا بالإمام، أيها الأعزاء'. أما التأكيد على عدد التكبيرات في صلاة العيد فماتاه اختلاف المذهب الحنفي مع الشافعي والمالكي فيما يسمى في اصطلاح الفقهاء بالتكبيرات الزوائد. فهي عند الحنفية سبع علاوة على تكبيرة الإحرام، بحيث يكون مجمل الركعات ثمان كما ذكر، بينما عددها جميعا عند المالكية ثلاثة عشر وعند الشافعية أربعة عشر.¹²

ويلاحظ محققا الطبعة الثانية للكتاب الجبلاني بالحاج يحيى وحمادي الساحلي في بداية الثمانينات من القرن العشرين أن هذه الطقوس "أخذت تنقرض شيئا فشيئا ولم تبق سارية المفعول جزئيا إلا في جامع صاحب الطابع بحي الحفاوين" (المصدر السابق : ط 10/2).

إن هذا الاستعمال للغة التركية لا يبرره في الأصل سوى وجود فئة تركية لا تحسن العربية وربما أيضا الرغبة في المحافظة على ما كان جاريا في جوامع الأستانة وهو ليس موجها للعرب بغية تتركهم وإلا فرض نفس النظام على الجوامع المالكية وهي الأغلبية في البلاد. بل هو مرتبط بذات وجود الجوامع الحنفية التي تأسست من أجل الانكشارية الذين استقرّوا

أسند قيادته إلى رجل من المماليك اسمه سليم، لقب بأمير آلاي نسبة إلى هذه الخطة.¹⁵ كما أنشئت سنة 1256هـ/1840م في عهد أحمد باي مدرسة عسكرية بباردو يتلقى فيها العسكر النظامي ما يلزمه من العلوم كالهندسة والطوبوغرافيا والحساب وغيرها، ودروسا في اللغة الفرنسية لأن أغلب المراجع كانت بهذه اللغة.¹⁶ لكن الثابت هو أن الإيعاز - وهو مجموعة الأوامر التي كانت تعطى للجند للقيام بأنماط معينة من الحركات كالسير والوقوف والهرولة والاستدارة والاجتماع والتفرق - كان يتم باللغة التركية كما أبقى تقريبا على نظام الرتب القديمة والألقاب التركية المعروفة عند أصحاب الوجد. وتشهد بذلك الكتب المترجمة عن التركية في مجال تعليم العسكر والتي انتشرت مع إنشاء المدرسة. فالتعريب فيها لم يشمل أسماء الرتب والعديد من المصطلحات العسكرية وهو لم يشمل بالخصوص عبارات الإيعاز التي بقيت باللسان التركي وكل ما تغير فيها هو كتابتها كتابة صوتية تختلف في كثير من المواضع عن كتابتها بالرسم العثماني أو حتى نطقها في اللغة التركية (حذاء < هزاء 'النسق'، جفت < شفت 'نصف'، لجنجى < اتشنجي

'الثالث'، ديزي < دزي 'صف'، طاقيم < طاقم 'فوج'، أوجى < عوجي 'قناص'، رام'، بوري < بوري 'نفير'، بوق' وتنطق بالتركية بـ'ور'، الخ...) ومن هذه العبارات :

(1) ما يقوله البينباشي إذا أراد حلّ الصفوف :

"إذا أراد البينباشي أن يحلّ الصفوف يكمانده - صيره قري اشميه حازر" اولون (...). وبعد تمام ما تقدم يكمانده البينباشي :

- صيره قريه اشيل

- ارش " (المورالي، طابور تعليم : 2) ويقابله هذه الأوامر بالعربية :

- استعد لحلّ الصف إلى الورا

- افتح الصف إلى الورا

- سير

إن الفعل الذي يعني الأمر في الترجمة "يكمانده" معرب من التركية "قومانده" أيتمك "فعل الأمر" وهو إمّا من الفرنسية commander أو من الإيطالية comandare. أما لفظة الإيعاز الثالثة : "ارش" فهي كذلك دخيلة في اللغة التركية وأصلها marche [مارش] بالفرنسية. و"حازر" دخيلة أيضا وهي من العربية "حاضر". ومثله :

الأول هو غلبة العنصر التركي داخل هذا العسكر على الرغم من أن مؤسسهُ ضمَّ إليه عددا من "أولاد البلاد".¹⁷ ومن بعده فشلت مساعي مصطفى باي (ح 1251-1253/هـ-1835-1837م) في تجنيد السود المعتوقين لتوحي الأمير آلي سليم طريقة فظة في جمعهم وحشدهم داخل قشلة الحاضرة لم يستحسنها الوزير شاكير صاحب الطابع، وكذلك مساعيه في تجنيد أبناء الحاضرة حسب نظام القرعة لرفضهم أن يؤخذ منهم العسكر إطلاقا واحتجوا بأن "أبناء الترك هم العسكر لثبوتهم في ديوان المرثب" وبأن لا حاجة لكثرة العسكر الذي تنقل نفقته ميزانية الدولة وبأنهم "مسلمون وكل مسلم عسكري عند الحاجة" (الإتحاف : 207/3-209). ولم تتغير الوضعية في عهد خلفه أحمد باي فالجند إما من الترك وإما من أبناءهم المولودين بتونس وقليل ممن "كان خاملا من أهل البلاد" وأثبتته الدولة في ديوان الجند "بدعوى أن أباه أو جدّه كان تركياً" (الإتحاف : 34/4-35).

والثاني هو وجود علاقات عسكرية استراتيجية مع الباب العالي فمنذ التأسيس أوفد الباي ضباطا وجنودا إلى استانبول لتعليمهم النظام الجديد الذي اعتمده الدولة

(2) ما يقوله البيباشي إذا أراد أن يأمر بإطلاق النار لنصف الطابور :
"إذا أراد البيباشي الصرخ بنصف الطابور يكمانده :

- يرم طابور اتاش
- صغدان يريم طبور [كذا]
- سلاح داوران
- نشان ال
- اتاش
- دولدور" (طابور تعليم : 6)
- ويقابل هذه الأوامر بالعربية :
- الرمي بنصف الطابور (حرفيا : نصف الطابور نار)
- من اليمين نصف الطابور
- حرك السلاح
- صوب
- ارم
- زود (أي السلاح)

فالفعل المركب "نشان ال" والذي يعني حرفيا 'خذ الهدف' أعطى في العامية التونسية "نشن على فلان" أي لاحقه بالاهتمام وتابعه، وكذلك "طابور" للصف المزدهم.

واعتماد اللغة التركية على هذا النحو في تدريب العسكر النظامي يعود إلى عاملين أساسيين :

الذي وُضعت عليه. والنقاش أو الكتابات التركية التي عرفت في البلاد التونسية هي في معظمها ذات مضمون تعريفيّ (ذكر نوع المَعلم واسم المتوفى إذا كان هذا المعلم تربة) وتاريخيّ (ذكر تاريخ التأسيس أو البناء) وتمجيديّ (ذكر اسم المؤسس أو الشخص أو الجماعة التي من أجلها تأسس المَعلم والإشادة بهم) ومنها ما هو توشيح ورمز خال من كل هذه العناصر لا يتضمن سوى إشارات غير مباشرة للمَعلم المقصود. وهي لم تُكتب من أجل العرب بغية إشاعة اللغة التركية بينهم²⁰ وإنما كتبت من أجل الأتراك، وهم الانكشارية بالأساس، الذين كانوا يَعْمُرُونَ ويترددون على تلك المعالم، هذا إن لم يكونوا هم الذين شيّدوها بأنفسهم. ومن ذلك القِشَلات (أو القشيل أي الثكنات) والأبراج والقلاع والجوامع الحنفيّة وترب الأعيان الأتراك والديوان الذي كان أيضا تكيّة للطريقة البكتاشيّة. وكفيينا لتأكيد هذا الطرح ما قاله ابن أبي الضياف مُعلِّقا على كتابات الأبراج التي شيّدتها حمودة باشا :

"مَهْمَا تَمَّ بُرْجِ عَمْرِهِ بِمَدَافِعِهِ وَحِمَاتِهِ
من العسكر. وكتب على الأبراج تواريخها
باللغة التركية، سياسة مع جُند الترك، وهم

العثمانيّة في ترتيب العسكر¹⁸ ثم إنّ الباي كان يحمل رتبة ضابط سام في الجيش العثماني وهي رتبة فريق حتى السنة 1256هـ/1840م التي تمت فيها ترقية أحمد باي إلى رتبة مشير أعلى الرُتب بحيث أصبح مخوِّلا لإسناد رتبيّ مير لواء وفريق إلى ضباط جيشه علاوة على الرتب السابقة. وكان السلطان العثماني في نفس الوقت ومن منطلق كون الجيش التونسي جزءا لا يتجزأ من الجيش العثماني قادرا على ترقية من شاء من الضباط التونسيين المرسلين إلى استانبول وتوسيمهم.¹⁹ وترتيب العسكر في تونس على النظام العثماني وتدريبه باللغة التركية يجعلانه مؤهلا للانضمام إلى العساكر العثمانية في أي وقت نودي فيه إلى المشاركة في حرب تقودها الدولة العثمانية بنفسها. وهذا ما حصل بالفعل في حرب القرم لما خرج من تونس في 25 جويلية 1854 فيلق من عشرة آلاف رجل انضموا كلهم بعد إقامة قصيرة بدورده إلى القائد العسكري العثماني المرابط على الحدود التركية الروسية جنوبي البحر الأسود.

6. النقاش التركية بتونس

النقاش هي نصوص كتابية خُطت على مادة صلبة (كالحجر) لتُخَد مع المَعلم

الشوكة يومئذ. ومُحَصِّل المكتوب أنّ الأمر بها هو السلطان سليم، وأنّ الباني هو حمودة باشا كما تراه على غالب أبوابها. ولفظها شعر باللغة التركيّة "الإتحاف : 38/3، والتعميق من عندنا).

وتحتفظ جمعية صيانة مدينة تونس في سور القصبّة بخمسة من هذه الكتابات تتعلق إحداها بقلعة بنيت سنة 1219هـ/ 1804م، ونصّها الآتي نذكره بعد المعاينة :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيّدنا محمد وسلم

دور سلطان سليمة قلعمر اولدى تمام بانيسي حموده باشا أول كريم اول همام نصره الله تعالى إلى يوم القيام

سـ ١٢١٩نة »

فالسّطر الثّاني والثّالث كتباً بالتركيّة ويقابلهما بالعربيّة :

« تمّت قلعتنا في عهد السلطان سليم بانيتها حمودة باشا هو الكريم هو الهمام »

وتتعلق الكتابات الأربع الباقية بأبراج شيدّ منها اثنان سنة 1215هـ/1800م والثالث سنة 1217هـ/1802م والرابع سنة 1218هـ/1803م وهي لا تختلف عن الكتابة السابقة إلا باستعمال كلمة "برجمز" بدل "قلعمر" والباء العربيّة بدل الباء الفارسيّة المثلثة في باشا/باشا. ولا اختلاف بينها إلا بأشياء طفيفة كالشكل (بُورجمز/بُورجُمز) والمدّ (بانيسي/بانسي) أو عدم استعمال الواو في واحدة منها للربط بين البسمة والصلاة على النبي، أو استعمال "سيدنا محمد" في اثنتين منها بدلا من "محمد"، أو "يوم القيام" بدلا من "يوم الحشر والقيام". ونصّها كالاتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وسلم

دور سلطان سليمة بورجمز اولدى تمام بانسي حمودة باشا أول كريم اول همام نصره الله تعالى إلى يوم القيام

سـ ١٢١٥نة »

والسّطران الثّاني والثّالث يقابلهما بالعربيّة :

« تمّ بُرجنا في عهد السلطان سليم بانيه حمودة باشا هو الكريم هو الهمام »

ومن كتابات الثكنات ما اعتلى باب قشلة سيدي المرجاني (قسم الدوريات التابع للمكتبة الوطنية سابقا) وهو يدخل ضمن ما كان استعمل رمزا وثوُشيجا، ننسخها بعد المعاينة :

« لجلدقچه قبانسون عين اعدا بحق سوره انا فتحنا »

- ويقابله بالعربية :
« لتغلق عين الأعداء إذا ما انفتحت بحق سورة إنّا فتحنا »
ومن ذلك ما اعتلى باب قشلة العطارين (وهي مكتبة العطارين الحالية)، ننسخها على الصورة الجيدة التي كان نشرها رينو (1911 : 112) مع ترجمة العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب إلى الفرنسية :
« بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم
1. حمد ايده لم صدقله حقه هزار صد هزار °
كه ايلدي نصرت ايله اوجاغي حقا بنام
2. اوله صلوات وسلام هم دخي محبوبنه °
كه اولدى شفيع الأمم لطف ايله يوم القيام
3. خير دعائل اوله حموده پاشايه كيم °
ايلدي انشا كينه عسكره بويله مقام
4. اول شه روى زمين داور دارا كزين °
زاده عبد الحميد نسل نسل كرام
5. حضرت محمود خان دولت عدلنده اول °
قصد جهاد ايلوب ويردي اوجاغه نظام
6. ليل ونهار مطلبى حضرت حقن بودر °
اخذ ايده اعدادن اول نصرت ايله انتقام
7. ايليه حاصل انك خير ايله حق نيئك °
- فتح ايله تسهيل ايده هر نيه ايشه مرام
8. مطلبى مقبول اوله دنيا واخري ده هم °
ايليه اعداسيني عدلي ايله انهزام
9. اوليالر باطي ياردم ايده لر اكا °
نصرت ايله دوشمنه غالب اوله اول همام
10. حفظ ايده الله انى جمله كدردن دخي °
دولت ايله عمريني ايله هم بر دوام
11. ويرميه اصلا الم ذات كرمكارينه °
هم دخي منصور ايده حضرت رب الأنام
12. حقه ان قالدروب وصدقله امين ديه °
بو دعائي ايشيدن بنده خواص ايله عوام
13. يازدى جلالى قولى شوق ايله تاريخ
اكا °
اوسطه مراد اوطه سن نان ايله قلدی تمام
سنة تسعه وعشرين ومائتين والف من هجرة
من له العز والشرف »
ويقابل هذه الأبيات بالعربية :
« 1. الحمد لله مائة ألف مرة
الذي جعل الوجود حقا بالنصر معروف
2. تم الصلاة والسلام على حبيبه
الذي هو باللطف شفيع الأمم يوم القيام
3. وأفضل الدعاء لحمودة باشا الذي
بنى للعسكر مرة أخرى مثل هذا المقام

- 5.4. في مطلع دولة العدل دولة حضرة محمود خان سنة تسعة وعشرين ومائتين وألف من هجرة من له العزّ والشرف»
- ونختلف مع حسن حسني عبد الوهاب خصوصا في قراءة صدر البيت الرابع حيث لم يجد له معنى بالكلية ورأى فيه ألفاظا غامضة نسبها إلى التركيّة القديمة، لكنها في الحقيقة ألفاظ فارسيّة (شه 'ملك' + روى زمين 'وجه الأرض' + داور 'الملك' أو الحاكم العادل، + دارا 'العاهل' وهو في الأصل اسم علم أطلق على العديد من ملوك الفرس انتقل إلى اليونانية في شكل Δαρείος وإلى اللاتينية في شكل Darius. + كزين 'مُنْتَخَب') عدا "أول" وهي من العربيّة وجميعها من الدخيل في العثمانيّة. واختلنا معه أيضا في ترجمة عجز البيت الأخير حيث قرأ "اوطه سز ناز ايله.." وقرأنا "اوطه سن نان ايله.."، لأنّ قراءته لهذا التاريخ بحساب الجُمَل (أي بالحروف الأبجدية لا بالأرقام) لا تتفق مع التسمية العددية المذكورة في الآخر وهي "تسعة وعشرين ومائتين وألف" (1229). وذلك قبل النظر في الألفاظ ومدلولاتها التي قد تكون مفتعلة في هذا الموضع بالذات. فمجموع (اوسطه=81) (مراد=245) (اوطه سز=88)
6. وهو الذي ليلا نهارا يسأل الله العون على الانتقام من الأعداء
7. اللهم تقبّل نيّته بالخير وسهّل بالفتح كلّ ما أراد
8. اللهم استجب لمطلبه في الدنيا والآخرة واهزم بالعدل أعداءه
9. اللهم سخّر له رياح الأولياء (تساعده) واجعل هذا الهمام على الأعداء بالنصر غالبا
10. واحفظه اللهم من كل مكروه ومُدّ في عمره بالسعادة والسلطان
11. ولا تلحق به الألم أبدا فهو الكرم عينه واجعل النصر حليفه يا حضرة ربّ الأنام
12. وليرفع يديه إلى الله وليقل أمين صيدقا من يسمع هذا الدعاء من العباد الخواص والعوام
13. كتب له بالشوق جلالى قولى التاريخ اوسطه مراد بيّته بالخبز قد أتمّ

- قد "رُئِب الخبز للعسكر القاطنين بالقشيل، وقد كانوا يأكلون من مرثبهم وكذهم في الحرف". أما كتابات الجوامع الحنفية فنذكر منها كتابة جامع يوسف داي، وموضعها في الوسط أعلى باب بيت الصلاة :
- « 1. يابدي بوني سفظا امر حقله
جامع سحر افرين سحر حلال
2. صاحبه حق مبارك ايلسون
كم ميسر ايلدي اول ذو الجلال
3. أهل خير وأهل حق صاحب كرم
رحمت ايده اكه نيرو بي زوال
4. روحني تا حشر اولنجه دائما
خير له ياد ايده لر بودر مال
5. سير ايدوب اول جامع انس وملك
ديديلر تاريخني جنست مثال »
ويقابلها بالعربية :
- « 1. عملَ هذا طالب العلم بأمر الحق
جامع سحر الخالق سحر حلال
2. جعله الحق مباركا على صاحبه
الذي يسره هو ذو الجلال
3. أهل الخير وأهل الحق، صاحب الكرم
اشمله برحمتك يا قوي يا من لا يزول
4. لئذكر روحه إلى الحشر دائما بخير، هذا
مال
- (ناز=58) (ايله=46) (قلدي=144) (تمام=481) هو 1143 وليس 1229. ولا تختلف عنها كثيرا قراءة شكر (1987 : 204)، وهي "اوطه سن ناز.." بحيث يصبح التاريخ 1186 وهو مجموع (اوسطه=81) (مراد=245) (اوطه سن=131) (ناز=58) (ايله=46) (قلدي=144) (تمام=481) وهو أيضا غير التاريخ المنصوص عليه. فلا تبقى لنا إذن إلا قراءة واحدة صحيحة وهي : (اوسطه=81) (مراد=245) (اوطه سن=131) (نان=101) (ايله=46) (قلدي=144) (تمام=481) بحيث نحصل سمنا على العدد 1229 وهو التاريخ عينه بلا زيادة أو نقصان. وإن عدنا إلى الإشكال في الترجمة لتبين لنا أن "نان" هي اللفظة التي تحاشاها عبد الوهاب وشكر، ومعناها الخبز بالفارسية. لأنه ما علاقة الخبز بإتمام هذه القشلة، والإجابة بأية حال لاوجود لها داخل النص ولا سبيل إليها من دون اعتبار الظرف والأحداث التي أحاطت به. ولعلنا نجدتها في ما ذكره صاحب الإتحاف (39/3) من أن حمودة باشا في سنة 1221هـ/1806م أي قبل ثمان سنوات قمرية من كتابة هذه النقيشة كان

5. الإنس والملکُ نظروا إلى ذا الجامع وقالوا تاريخه من الجنة مثال
5. فتقبل الهي منه وجاهه اجرا
6. إن منک الإرشاد لكل الخيرات «
ومن كتابات الثرب الكتابة الموجودة بتربة محمد لاز بالقصة ننسخها عن الصورة التي أوردتها شكر (1987 : 192) واختلفنا معه في قراءة صدر البيت الرابع حيث أسقط واحدة من لفظتي "كون" بمعنى 'يوم'. ولم نأت في المقابل بالبيت الثالث لأنه لم يبد لنا واضحا بأكمله :
- « 1. أبو الخيرات والحسنات يا رب أبو الضعفاء محمد دايي يا رب°
قبوکه عاجز ومحتاج واردي وفقير صفر يد طا پوکه ایردي
2. ديدیک لا تقنطوا من رحمة الله انكله حبل ياسی كسدك أي شاه°
جميعا اهل توحيدہ اشارت عصاة مومنينه اولدي بشارت
3. [...]»
4. بيك التمش اوج سنه شوال اينده يكرمي احونجى كون صالى كوننده°
فنادن انتقال ايتدى بقايه رضاكى استيو ایردي لقايه «
والترجمة :
5. الإنس والملکُ نظروا إلى ذا الجامع وقالوا تاريخه من الجنة مثال
(جنت مثال = 1024)
571 + 453
ويلاحظ أن هذا التاريخ هو غير تاريخ التأسيس الذي يذكره محمد بن الخوجة في تاريخ معالم التوحيد (ط/1، 106) أي سنة 1021. وهو مذكور أيضا في كتابة ثانية وضعت جنب هذه من جهة اليسار أعلى باب الصلاة بنفس الجامع.
ومن ذلك أيضا كتابة منارة جامع القصبية، ننسخها عن صورة شكر (1987 : 189) :
- « 1. بيك التمش بر رمضان غره سنده
2. تمام اولدي سعادته بو بنياد
3. محمد داينك سعييله اولدي
4. رضا الله ايجون بو تحفه ايجاد
5. الهي سن قبول ايت بدلن انك
6. چو سندن در قمو خيرات ارشاد «
ويقابلها بالعربية :
« 1. في غرة رمضان واحد وستون وألف (1061)
2. تمّ بالسعادة هذا الأساس
3. وكان بسعي من الداى محمد
4. أقام هذه التحفة إرضاءً لله

- « 1. أبو الخيرات والحسنات يارب أبو الضعفاء محمد داي يارب°
تمام
5. نمقه محمد بن علي قربورنلي «
وهو ما يمكن ترجمته بما يلي :
« [1]. بسم الله الرحمن الرحيم
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين]
2. زينت منظر العالم زمرة الإنكشارية
هنا تُبنى كل صباح قواعد الآداب
3. مظهر كرم الأولياء الديوان العالي
تكية السلطان الولي الحاج بكتاش
4. هل عجب إن كان مقبولا (عندنا) الخاص
والعام
تم في سنة اثنين وأربعين ومائة وألف
(1142)
[5. نمقه محمد بن علي قربورنلي] «
ويلاحظ هنا تسمية الإنكشارية بالزمرة بعد
ذكر الآية الثالثة والسبعين من سورة الزمر.
كما يتبين انتسابهم إلى الطريقة البكتاشية
والتي كانت زاويتها بالديوان نفسه، وهي
طريقة لم تكن معروفة بتونس إلا مع هذه
الزمرة، وُجدت معها وزالت بزوالها.
7. خاتمة
لقد اختلف وضع اللغة التركية من
طور إلى طور، لكنه كان يسير من البداية
إلى النهاية نحو الاندماج التدريجي، والمتجدد
- « 1. أبو الخيرات والحسنات يارب أبو الضعفاء محمد داي يارب°
وصل إلى بابك عاجزا ومحتاجا وبلغ حوزتك
فقيرا صيفر اليد
2. قلت لا تقنطوا من رحمة الله و قطعت
بذلك حبل اليأس يا ملك°
إشارة إلى أهل التوحيد جميعا وكان ذلك
لعصاة المؤمنين بشارة
3. [...]°
4. سنة ثلاث وستين وألف (1063) اليوم
الثالث والعشرون من شهر شوال في يوم
الثلاثاء°
انتقل من الفناء إلى البقاء ودخل راجيا
رضاك لبقاء «
ولنختم هذه الأمثلة بكتابة الديوان الذي بني
في عهد حسين بن علي تركي، ننسخها عن
صورة شكر (1987 : 198) :
« 1. بسم الله الرحمن الرحيم
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
2. منظر عالم ارادر زمرة يكيچريان
قرولور هر صبح انده يول ارکان
3. مظهر كرم اوليا ديوان عالي
تگه سلطان حاجي بكتاش ولي
4. پسنديده قلسر عجمي خاص عام

« Lon parle ordinairement en Alger, à Tunis, à Salé, & aux autres Villes des Corsaires de Barbarie, trois sortes de langues differentes. La premiere, est l'Arabesque ou la Mauresque, qui est celle du pays. La seconde, est la Turque, qui n'a rien de commun avec elle des Arabes & des Maures ; Et la troisième, celle qu'ils appellent le Franc, dont on use communément pour se faire entendre ; ce qui est un barragouin facile & plaisant, composé de François, d'Italien, & d'Espagnol ».

⁵ راجع ديوبو Dubois (2001 : 62).

⁶ مخطوطة رقم ms. 321 supplément

⁷ اسم مشتق من الفعل فُوشِمَقَ ويذكره

الكاشغري (ق 11/5) بهذا المعنى في قولهم آل بيزر فُشْدَى أي 'أثمة نُظِمَ الغَزَلُ والشُّعْرُ' (ديوان لغات الترك : 270).

⁸ قرأنا "بولونجه" بدلا من "بولونجه".

⁹ راجع الإتحاف (95/2).

¹⁰ و يذكرنا هذا ببعض قصائد الشاعر

الفارسي حافظ الشيرازي (726-791هـ) الذي كان يكتب صدر البيت بالفارسية وعجزه بالعربية. مثال :

ألا أي ساربان محمل دوست

إلى ركبناكم طال اشتياقي

ومعنى الصدر بالعربية : 'ألا يا حادي محمل

الحبيب'. انظر آل علي (1972 : 174).

¹¹ في الأصل 'ك اينات' والتصويب من

عندنا.

¹² تفاصيل المسألة الفقهية يوردها محمد بن

الخوجة في موضع آخر من الكتاب (ط1/167، ط2/272).

¹³ المصدر السابق (ط2/236).

¹⁴ بعد عشرين سنة من ثورة الوجلج علي

حمودة باشا (1811) وخمسة عشر سنة من ثورة دالي

باش علي محمود باشا (1816) أخذوا عليه تسامحه في

إطلاق سراح "الأسارى الذين تحصلوا بدمائهم" حيث

رأى في ذلك احتقارا للجند (الإتحاف : 120/3).

¹⁵ راجع ترجمته بالإتحاف (32/8).

¹⁶ راجع الإتحاف (36/4).

¹⁷ راجع الإتحاف (179/3).

¹⁸ راجع الإتحاف (179/3-180)، ومانتران

(1961، المقدمة : 34).

¹⁹ ومنهم شاكير صاحب الطابع ومصطفى

بلهوان وخير الدين الذين رقاها السلطان إلى رتبة

ميرلوا. انظر المصدر السابق (المقدمة : 34).

مع كلّ تركي يدخل البلاد، في اللغة العربية التي يتكلمها الأهالي. فالأتراك العثمانيون في نفس الوقت الذي حَمَوْا فيه البلاد من التهديد المسيحي الإسباني، العسكري والثقافي، سمحوا لها بتكريس هويتها العربية التي انسجموا معها وانصهروا فيها مع مرور الزمن.

الهوامش

¹ "المانع"، حسب السياق، هو ذلك الذي فرّ وتمكّن من النجاة. والأرجح أن يكون رواية الحادثة والكلام المذكور هم الناجون أنفسهم.

² عن برنارد Bernard (1988 : 145) التي نقلت هذا المقطف من المصدر نفسه أي :

Richer, Christophe. 1542. *Des coutumes et manieres de vivre des Turcs fait premierement en latin par Christophe Richer, vallet de chambre du Roy treschrestien François premier de ce nom, et secretaire de son chancelier : et depuis par iceluy richier traduit en langue françoise.* Paris : chez R. Estienne, 21 ff., in 4°.

وهذا النصّ بالفرنسية :

« [l'esclavon : c'est la langue] la plus fréquentée et la plus estendue de toutes...d'autant plus quelle est commune aux lanizares, est en usage, principalement a tous ceulx qui suyvent lestat de la guerre... » ff. 3-4.

³ راجع دوره Duret (1613 : 744-753) والنص بالفرنسية :

« ...en Turquie, & à la porte du grand Seigneur, la plus part des lanissaires ne parlent que cette langue...les lanissaires les plus bragards, & les gouverneurs des prouinces s'õt pour la plus part Esclauons...Anciennement ceste dicte langue estoit familiere & commune entre les Mameluz durant l'Empire des Soldans d'Egypte & du Caire : de present elle l'est plus qu'elle ne l'a iamais esté à la porte du gråd Seigneur des Turcs, mais les lãgues Arabesque, Turquesque & Moresque diminuēt de beaucoup son credit & reputation ».

⁴ راجع دان Dan (1637 : 102-103) والنص بالفرنسية هو الآتي :

بن يوسف، الشيخ محمد الصغير. 1998. **المشروع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي**. المجلد الأول. تقديم وتحقيق أحمد الطولي. المطبعة العصرية : تونس.

بوذينة، محمد. 1992. **ديوان المألوف**. دار سراس للنشر: تونس.

خوجة، حسين. 1908/1316. **الذيل لكتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان**. المطبعة الرسمية: تونس. الطبعة الثانية، 1975، تحقيق الطاهر المعموري، دار العربية للكتاب: تونس-ليبيا.

الشريف، محمد الهادي. 1980. **تاريخ تونس**. دار سراس للنشر: تونس.

الرزقي، الصادق. 1967. **الأغاني التونسية**. دار التونسية للنشر: تونس.

صابان، سهيل. 2000/1421. **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**. مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض.

قريسة، نبيل 2000. "الدور التاريخي والحضاري المركزي للجزيرة العربية في العصر الأموي، مشروع قراءة جديدة". **الندوة العالمية الرابعة لتاريخ الجزيرة العربية**. جامعة الملك سعود. الرياض.

الكاشغري، محمود بن الحسين. 1990. **ديوان لغات الترك**. نسخة مطابقة للمخطوط. وزارة الثقافة: أنقرة.

كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار. د ت. **المهرجان المغربي للمألوف، تستور 1969**، مختارات: تونس.

المورالي، أحمد. 1865/1282. **كنز فنون الضباط الصغار**. مطبعة الدولة التونسية. تونس.

الكعك، عثمان. 1972. **العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ**. الشركة التونسية للتوزيع : تونس.

وزارة الشؤون الثقافية. 1979. **التراث الموسيقي التونسي**. السفر التاسع: تونس.

(2) باللغات الأجنبية

AYTAÇ, Bedrettin. 1994. *Arap lehçelerindeki Türkçe kelimeler*. Istanbul : Türk Dünyası Araştırmaları Vakfı.

BANNOUR, Abderrazak. 2000. « Brève mise au point sur le lingua franca en méditerranée ». *Les langues en Tunisie : état des lieux et perspectives*. Colloque. Tunis : Markaz al-Naşr al-Gâmi'.

²⁰ وهنا لا نتفق مع ما ذهب إليه زميلنا أحمد السعداوي (1999 : 310) الذي كان رأى في هذه النقائش مظهرا من مظاهر تترك ثقافة البلاد.

المصادر والمراجع

(1) بالعربية

آل علي، نور الدين. 1972. **دروس اللغة والأدب الفارسي**. الشركة التونسية للتوزيع: تونس.

إحسان اوغلي، أكمل الدين (إشراف). 1999. **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**. نقله إلى العربية صالح سعداوي. مجلدان. مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية: استانبول.

إحسان اوغلي، أكمل الدين؛ ومحمد صفي الدين أبو العز (إشراف). 1993-1991. **العلاقات العربية التركية من المنظورين العربي والتركي**. معهد البحوث والدراسات العربية: القاهرة؛ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية: استانبول.

أيطاج، بدر الدين. 1994. **الكلمات التركية في اللهجات العربية (باللغتين التركية والعربية)**. تورك دنياسى ارشترملرى وقفى: اسطنبول.

البشراوي، محمد الفاضل. 1998. "الدخيل التركي في عربية تونس". ندوة **واقع اللغات ومستقبلها في تونس**. المعهد العالي للغات بتونس. لم ينشر ضمن الوقائع سنة 2000.

بن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني. 1967. **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**. تحقيق وتعليق محمد شمام. المكتبة العتيقة: تونس. الطبعة الثالثة، 1993. دار المسيرة: بيروت؛ مؤسسة سعيدان: تونس.

بن أبي الضياف، أحمد. 1966-1963. **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**. 8 أجزاء. نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار: تونس.

بن الخوجة، محمد. 1939/1358. **تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد**. المطبعة التونسية: تونس. الطبعة الثانية، 1985. تقديم وتحقيق الجبلاني بالحاج يحيى؛ وحمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي: بيروت.

بن الخوجة، محمد. 1986. **صفحات من تاريخ تونس**. تقديم وتحقيق حمادي الساحلي والجبلاني بن الحاج يحيى. دار الغرب الإسلامي: بيروت.

- MONCHICOURT, Charles. 1913 *L'Expédition espagnole de 1560 contre l'île de Djerba*. Paris : Ernest Leroux.
- MZALI, Mohamed-Salah. 1969. *L'Hérité dans la dynastie husseinite : évolution et violations*. Maison Tunisienne de l'Édition. Tunis.
- NUR, Rıza. 1931. « Quelques poésies des poètes turcs de Tunisie ». *Revue de Turcologie/ تورك بيليك ره ووسى*. 1/1. pp. 99-101.
- NUR, Rıza. 1942a. « Tunus Türk şiiirlerinden Turgud Reisin ölümü ». *Tanrıdağ Dergisi* 1/4 ; s. 12.
- NUR, Rıza. 1942b. « Tunus Türk Şiiirlerinden iki tâne daha ». *Tanrıdağ Dergisi* 1/10 ; s. 4.
- NUR, Rıza. 1942c. « Tunus Türk Şiiirlerinden ». *Tanrıdağ Dergisi* 2/2 ; s. 9.
- PIGNON, Jean. 1956. « La milice des Janissaires de Tunis au temps des Deys (1590-1650) ». *Les Cahiers de Tunisie*. pp.301-326.
- RENAULT, Jules. 1911. *Cahiers d'archéologie tunisienne*. IV. Tunis.
- SAADAOUİ, Ahmed. 1999. « Inscriptions arabes et turques dans les mosquées tunisiennes de l'époque ottomane ». *Revue d'Histoire Maghrebine*. 95-96/26. pp. 309-330.
- SEBAG, Paul. 1989. *Tunis au XVII^e siècle, une cité barbaresque au temps de la course*. Paris : L'Harmattan.
- ŞEKER, Mehmet. 1987. « Tunus'ta bulunan Türkçe kitabeler ». *İlahiyat Fakültesi Dergisi IV*. s.183-225. Dokuz Eylül Üniversitesi Yayınları.
- BERNARD, Yvelise. 1988. *L'Orient du XVI^e siècle à travers les récits des voyageurs français : regards portés sur la société musulmane*. Paris. L'Harmattan.
- BROWN, Leon Carl. 1974. *The Tunisia of Ahmad Bey, 1837-1855*. Princeton : Princeton University Press.
- BRUNSCHVIG, Robert. 1936. *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV^e siècle : 'Abdalbâsîf B. Halîl et Adorne*. Paris : Larose.
- DAN, R. P. Fr. Pierre. 1637. *Histoire de Barbarie et de ses corsaires [...]*. Paris : Pierre Rocolet.
- DARGHOUTH, Abdelkebir. 1977. *Du Pacha à son descendant*. Tunis : Impr. Les Nouvelles Presses.
- DUBOIS, Jean & alii. 2001. *Dictionnaire de linguistique*. Paris : Larousse.
- DURET, Claude. 1613. *Thresor de l'histoire des langues de cet univers contenant les origines, beautés, perfections, décadences, mutations, changemens, conversions et ruines des langues*. Cologny : Matth. Berion. Réimp. Slatkine ; Genève : 1972.
- ELÇİN, Şükrü. 1988. *Akdeniz'de ve Cezâyir'de türk halk şâirleri*. Ankara : Türk Kültürünü Araştırma Enstitüsü.
- MANTRAN, Robert. 1961. *Inventaire des documents d'archives turcs du Dar-El-Bey (Tunis)*. Paris : PUF.
- MANTRAN, Robert (éd.). 1989. *Histoire de l'Empire ottoman*. Paris : Fayard.
- MARTY, Paul. 1935. *Historique de la mission militaire française en Tunisie (1827-1882)*. Extrait de la *Revue tunisienne*. Aloccio : Tunis.